لقاء قناة الفرقان بالدكتور إبراهيم الجعفري
2009/11/25
(القرآن في حياة الجعفري) (ج2)

المقدم: من أي التفاسير ابتدأتم في ثقافتكم القرآنية؟

الجعفري: من حيث البداية الزمنية بدأت من (مجمع البحرين) للشيخ الطبرسي؛ لأنه كان متوافراً في العراق، وكنت أشعر أنه تفسير صعب خصوصاً بالنسبة إلى عمري في ذلك الوقت، لكن لم يكن في يدي أكثر من هذا، وإلى جانبه انفتحت على (في ظلال القرآن) للسيد قطب.

المقدم: ألا ترى أنه يشترك في الصعوبة مع تفسير (مجمع البيان)؟

الجعفري: لا بالعكس، سيد قطب (رحمه الله) على الرغم من أنه لا يزعم أنه قدّم تفسيراً، لكنّ الشيء الرائع فيه أدبه وصياغاته واستخداماته للبلاغة العربية وهو موهوب جداً، ويتميز بنحت العبارات المتعلقة بالقرآن الكريم نحتاً موفّقاً ورائعاً.

المقدم: الاستعارات الأدبية المُبالغ فيها قد تؤثر في المعنى الأصيل للآية القرآنية، وتبُعد المفسّر عن المقصد أو الغاية؟

الجعفري: إحدى إعجازات القرآن بل من أبرز إعجازاته هو الإعجاز البلاغي.. فالقرآن الكريم جاء بالإعجاز البلاغي، وأنهى عصر المعلقات بنزوله في وقت كانت مكة مكاناً للعبادة والتجارة والشعر.

المقدم: محمد جواد مغنية بهذا الجهد المبسط استطاع أن يصل بتفسيره إلى عقول الناس أكثر من ذلك المفسّر الذي يستخدم البلاغة والفلسفة...؟

الجعفري: لا أعتقد ذلك.. فتنوع المعطي يساوق تنوع المتلقي، لعل شريحة تفهم هذا المستوى المبسَّط من التفسير، ثم إنك حينما تريد أن تتعمق في الآيات القرآنية الكريمة يجب أن ترتحل من هذا المستوى إلى أمهات التفاسير التي هي في الدرجة الأساس (الميزان في تفسير القرآن) للسيد الطباطبائي، و (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) للسيد عبد الأعلى السبزواري.

المقدم: دعنا نقف عند تفسير الميزان للعلامة السيد الطباطبائي الذي هو من أمهات التفاسير.. لا نجد مفسّراً لم يرجع إليه من قريب أو بعيد .. ما السرّ في هذا؟

الجعفري: في تقديري أن السيد الطباطبائي كان يتحلى بصفاء نفسي وانقطاع إلى الله (تبارك وتعالى)، ولديه رياضات نفسية وروحية أهّلته لأن ينفذ إلى الآية القرآنية الكريمة، ويسبر غورها، ويكتب، ويعكس لك سراً بينه وبين الله، ويغلب عليه الجانب الفلسفي، لكن ليس بالقوة نفسها في الروايات كما هو في الآيات عندما يفسّر الآية بالآية فهو متألق، لكن عندما ينتقل إلى تفسير الآية بالرواية لا تجد ذلك التألق، على خلاف السيد عبد الأعلى السبزواري في تفسيره (مواهب الرحمن) فهو ذو موهبة متألقة في الروايات إلى درجة تصل أنه حين يسمع الرواية يستطيع أن ينسب الرواية إلى أي إمام من الأئمة لكثرة اهتمامه بالرجال والحديث.

أنا أعتقد أن تفسير (الميزان) أعمق تفسير؛ لأنه يربط بين الآيات، ويفسّرها تفسيراً موضوعياً؛ فتجده معك في سورة، على سبيل المثال: في سورة الفاتحة يميّز لك بين السبيل والصراط، ويستحضر كل الآيات القرآنية الكريمة المرتبطة بهما (السبيل والصراط).

المقدم: من يقرأ تفسير الميزان للسيد العلامة الطباطبائي يجد هناك تبويباً ومباحث؟

الجعفري: لديه موضوعية، واطلاع واسع على تفاسير إخواننا أبناء السُنّة، ويذكرهم، ويقول: قال الراغب الأصفهاني، أو قال مثلاً صاحب المفردات، فيأخذ الكلمة، ويشقّقها وهو جريء في بعض الأحيان، على سبيل المثال بعض البحوث قد تبدو معمّقة لكن يقتحمها، ويصرح فيها بجرأة، ولا يتردد، ولديه وقفات حول البلاغة العربية على الرغم من كونه غير عربي، مثلاً: عندما يأتي إلى آية الكرسي:

((لا تأخذه سِنة ولا نوم))

يقول: يجب أن يقول: لا يأخذه نوم ولا سِنة؛ لأن الذي لا تأخذه سِنة لا يأخذه النوم، فإن لم يأتِك النعاس لا يأتيك النوم، فهو يقف ثلاثة أرباع الصفحة ليفرّق، ويعلل ابتداء الآية القرآنية الكريمة بالسِنة دون النوم.

المقدم: ألا ترى أنه قد يقدح البعض بأنه لا يتكلم اللغة العربية، وألّف، وفسّر القرآن وعندما يأتي إلى مباحث اللغة يتثقل عندها أكثر، ويسهب.

الجعفري: اعتدنا على دراسة اللغة على أيدي أناس لا ينتمون في الأصل إلى اللغة نفسها؛ لأنهم يهتمون بها، ويعشقونها، كما أن اللغة ليست ملك مَن يتكلم بها، فقد يوجد أناس يرحلون من خارج هذه اللغة، من سيبويه مردويه من أصحاب

المذاهب وإخواننا أبناء السنة من أبي حنيفة النعمان فكثير من هؤلاء لديهم مبانٍ، وهم ليسوا من أبناء اللغة فهذا ليس بشرط.

المقدم: التفسير الموضوعي .. هل يجرّنا إلى تفسير مثلاً: (التحرير والتنوير)، لمؤلفه ابن عاشور المعاصر، هل هناك التفاتة موضوعية بين ثنايا هذا التفسير؟

الجعفري: طبعاً فيه نكهة خاصة.. مؤلف (التحرير والتنوير)، كاتب مغاربي وهو مختصر لعنوان مطوّل، وفيه ميزات قد تختلف عن بقية التفاسير المتعارفة، ويعكس خلفية المفسّر الفكرية والسياسية والمجتمعية والمدرسية.
أعتقد أن المثقف القرآني يحتاج لأن يطلع على هكذا تفاسير خصوصاً أننا ليس لدينا تفاسير كثيرة من تلك الخلفيات؛ لذا وجدت فيه نكهة لطيفة وجيدة.

المقدم: البعض يقول: وحدة النص القرآني ووحدة التأويل تحصيل حاصل لوحدة الله، وكلاهما ناتج من التوحيد المطلق، والبعض يقول: ألا ترون أن تعدد أوجه التأويل تكريس للشرك وليس تكريساً للتوحيد؟

الجعفري: التوحيد هو ما نصت عليه سورة الإخلاص:
((قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد))

المقدم: إذا أردنا أن نقيّم واقع الحركة القرآنية التفسيرية في العراق من حيث التلاوات، وواقع الحركة القرآنية في العراق من حيث الحفظ.. هل هناك حركة؟

الجعفري: أكيد توجد مدرسة في القرآن الكريم سواء كان في التفسير أم في الترتيل، واشتهر أن بعض القراء تولّوا عملية الحركة، هذا - للأسف الشديد - في العراق ليس بدرجة من الاهتمام والحجم كما في المدرسة المصرية والسعودية والإيرانية، نعم.. لدينا النجف الأشرف وهي مدينة شامخة وكربلاء المدينة كذلك ولهما تاريخهما، لكن كمدرسة قرآنية حالية معاصرة بهذا الحجم ليست موجودة.

المقدم: كمسك ختام.. ما تودّ أن تقول؟

الجعفري: أتمنى على كل من أحبّه وأنا أحبّ كل الناس أن يقرأوا القرآن الكريم على أنه كتاب حياة، وفي تقديري من يتحرك مع القرآن بأنه انطلق، ووسيلته وهدفه القرآن سيجد فيه ما يريد، ويجد مصاديق القرآن الكريم جاهزة حتى السياسي سيجد في القرآن ما يؤهله لأن يكون معارضاً قرآنياً أي إنساناً، وإذا كان حاكماً

أن يكون عادلاً، وإنساناً يجد في القرآن مؤونـة ثرّة، لكن ينبغـي أن نفتح قلوبنـا، وكلما فتحنا قلوبنا أخذنا من القرآن الكريم أكثر.